

## المقاربات البحثية لدراسة الاتصال الرقمي، أي استراتيجية منهجية؟ Research approaches to the study of the digital communication, any methodological strategy?

أ.د تمار يوسف

كلية علوم الإعلام والاتصال (جامعة الجزائر 3)  
youceftemmar@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2021/11/20

تاريخ الاستلام: 2021/11/10

### ملخص:

كل جديد في البحث العلمي، يبدأ بمناقشات تنبثق عنها إشكاليات تحتاج إلى تفحص علمي، هذا ما يحدث الآن مع ظهور البيئة الرقمية وما تولد عنه وفيه من ممارسات، بخاصة – وهذا ما يعيننا هنا – هو مختلف الطرق و المناهج و التقنيات التي تساعدنا في البحث وتحليل مختلف مكونات هذا النوع من الاتصال.

وصلت تلك المناقشات إلى طرحين أساسيين، الأول و ينادي أصحابه بإيجاد مناهج وتقنيات جديدة تتماشى و حدائة هذا الحامل، الثاني يطرح قضية إمكانية تكييف مختلف المناهج و التقنيات المعهودة في بحوث الإعلام و الاتصال حتى الآن، مع مختلف الظواهر والإشكاليات التي تطرحها البيئة الرقمية.

و نحن نفتح هذا الفضاء لمختلف الأفكار التي بإمكانها أن تغذي الإشكالية السابقة، بما ينفذ الباحثين المختصين في تكنولوجيات الحديثة بصفة عامة و تكنولوجيات الاتصال بصفة خاصة من منظور منهجي أكاديمي بحث.

### الكلمات الدالة:

الاتصال الرقمي، مناهج البحث، تقنيات البحث، التحديث، التكييف.

### Abstract:

Everything new in scientific research begins with discussions that emanate from problems that require scientific examination. This is what is happening now with the emergence of the digital environment and what is generated from practices.

What we are concerned with here is the various methods, approaches and techniques that help us in researching and analyzing the various components of this type of communication.

These discussions reached two basic propositions. The first calls for its owners to find new methods and techniques that keeping with the modernity of this support, the second raises the issue of the possibility of adapting the various approaches and techniques used in media and communication research so far, with the various phenomena and issues posed by the digital environment.

And we open this space for various ideas that can feed the previous problem, for the benefit of researchers specialized in modern technologies in general and communication technologies in particular, from an academic methodological perspective.

**keywords:** digital communication, research methods, research techniques, modernization, adaptation.

#### مقدمة:

نرجو من خلال هذه المحاولة، طرح إشكالية غاية في الأهمية، من جهة لأنها تتناول موضوعاً أنياً في المعارف الإعلامية والاتصالية بخاصة من زاوية البحث، و من جهة أخرى لأن وسائل الاتصال الإلكترونية أو الميديا الجديدة أو وسائل الإعلام الجديدة أو الوسائط الجديدة .. قد فرضت نفسها كواقع اخترق كل القطاعات و حقول الحياة داخل المجتمع (بن رمضان، 2011، 6)، لما تملكه من قدرات و مقومات الوصول و النفاذ للجميع، و الامتداد الواسع لتقنياتها و أدواتها واستخداماتها و تطبيقاتها المتنوعة على الفضاء الرقمي المترامي الأطراف بلا حدود أو حواجز أو فوارق (الخصاونة، 2013، 107)، ما يجرننا بالضرورة إلى تناول متغيراتها تناوياً علمياً منهجياً حتى نفهم طريقة عملها، مكوناتها، جمهورها، مضامينها، آثارها على الأفراد، و هذا أمر قد حدث أيام ظهور وسائل الإعلام الجماهيرية حيث كان كلما ظهرت وسيلة إعلامية منها، إلا و طُرحت إشكالية تناولها بالبحث و الدراسة، و الأدوات المنهجية الملائمة لذلك، و قد عبر عن ذلك دومينيك فولتن Dominique wolton قائلاً: " إنه - أي الرقمي -، بحق ثورة اتصالية مثل ما شهدته الغرب منذ عهد النهضة، الطباعة، و الهاتف و الراديو و التلفزيون " (Wolton, 2000, 99). إن البحث العلمي هو عملية التنقيح المعرفي المستمر للنظريات والمناهج كما تقول مي العبد الله، وتنقيح الإضافات التي تلحق بها، وتنقيح تطبيقاتها، ووضعها على الدوام في مواجهة تجارب ومشكلات وتطبيقات جديدة (العبد الله، 2010، 167).

هذا ما نصبوا إليه من خلال هذه المحاولة، أي إيجاد تصور منهجي واضح لمقاربة الظواهر الإعلامية الاتصالية التي يحملها الاتصال الرقمي.

## 1. إشكالية جديدة بالطرح والنقاش:

إن المقاربات المنهجية و ما يدور في فلكها من تقنيات، هي القاعدة الأساسية لعلوم الإعلام والاتصال بكل فروعها، لذلك فإن تطوير تلك المناهج و إعادة تشكيلها أو تكييفها بما ينسجم مع مستجدات البيئة الرقمية، مهم و ضروري في إيجاد تفسيرات للظواهر التي تشكل مخرجات هذا النوع من الإعلام، و إن التراث المنهجي السائد و الخاص بعلوم الإعلام والاتصال، أصبح بحاجة إلى إثرائه بالشكل الذي يتماشى و التقنية التكنولوجية التي تتطور بشكل سريع جداً، فهناك نمو غير متوازن بين وسائل الإعلام و بحوثها، حيث أصبحت الابتكارات التي تشكل الظواهر الإعلامية الاتصالية في المجتمع، كثيرة و متنوعة، تفسيرها يعتمد على نماذج علمية و منهجية إما جديدة أو تكييف تلك التي كانت تُستخدم في تحليل وسائل الاتصال التقليدية.

و من هذا المنطلق جاءت هذه المحاولة، التي تهدف إلى توجيه التفكير في: هل تكفي المناهج و التقنيات و المقاربات المنهجية التي تعودنا على استعمالها في دراسة و تحليل الظواهر الإعلامية الاتصالية من خلال حواملها التقليدية (تلفزيون، صحافة مكتوبة ..)، لمقاربة ظواهر الاتصال الرقمي؟ أو ينبغي البحث في طرق و تقنيات منهجية جديدة تلائم طبيعة الحامل الجديد؟.

لا نريد الإجابة عن السؤال السابق بقدر ما نريد طرحه للنقاش العلمي الجاد، لا يكون الهدف منه أحقية منهج عن آخر أو تقنية على أخرى في تناول الاتصال الرقمي، لكن العمل على إيجاد تقنيات و مناهج ملائمة لهذا النوع من الحوامل، أو إمكانية تكييف تلك التي نعرفها، مع طبيعة تلك الوسائل. صحيح أن الاتصال في البيئة الرقمية حافظ على أسس و عناصر العملية الاتصالية من مرسل و رسالة و وسيلة و جمهور و تأثير، لكن طبيعة كل عنصر و طريقة عمله في الحامل الجديد، يختلف بقدر كبير عن طبيعة و عمل هذه العناصر في الحوامل التقليدية.

استعان علم الإعلام و الاتصال، بالكثير من المناهج و التقنيات في مقاربة الظواهر الإعلامية الاتصالية، غدتها الكثير من المجالات المعرفية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية منها على سبيل الحصر المنهج التاريخي أو الاستردادي (علم التاريخ)، المنهج المقارن (علم السياسة)، دراسة الحالة (علم الاقتصاد)، المنهج المسحي (علم الإحصاء و الديموغرافيا)، منهج التحليل العاملي (الاقتصاد الكمي و علم الإحصاء)، منهج تحليل النظم (علم السياسة)، تحليل المضمون (علم السياسة)، الاستبيان (علم الإحصاء و علم الاجتماع)\* .. صحيح أن تلك المناهج و تلك التقنيات، قد أدت وظيفتها كمقاربات منهجية في الإجابة عن الكثير من الإشكاليات التي طرحتها و تطرحها البحوث الإعلامية و الاتصالية، و صحيح أيضاً أن الكثير منها كان لها الفضل في ظهور معظم النظريات الإعلامية المشهورة، كالمقاربات الإمبريقية على شاكلة الدراسات الاستطلاعية و الدراسات التحليلية و الدراسات السوسولوجية .. لكن الاتصال الرقمي بصفة عامة ليس لديه خاصية معرفية معينة حتى يمكننا تطبيق إحدى التقنيات السابقة، بل

أبعد من ذلك فالبعض منها، يحتوي على أكثر من بعد في مضمونه أو في جمهوره المستهدف، أو في تقنية بنائه، الأمر الذي يجبرنا على التفكير في أكثر من منهج و الكثير من الأدوات المنهجية، و ربما حتى هذا الإجراء قد لا يكفي لدراستها، مما يجبرنا على النظر في تقنيات و مناهج أخرى أكثر مطابقة لطبيعة تلك الوسائل، فهذه الأخيرة تمتاز ببعض الخصائص لا نجدها في وسائل الإعلام التقليدية، و حتى و إن وُجدت فهي ليست بالقدر الاتصالي الكافي لتشكيل ما وصلت إليه الممارسة الاتصالية في البيئة الرقمية.

## 2. الاتصال الرقمي بين الفلسفة الاتصالية الكلاسيكية، والوظائف الجديدة:

لماذا يشدنا الانتباه المنهجي للاتصال الرقمي، حتى نحاول البحث في أفضل المناهج وأحسن التقنيات لتناول مختلف مكوناته؟ ما هو الجديد فيه كوسيلة اتصالية؟.

في هذا المقطع من المداخلة، نريد عرض خاصيتين فقط للاتصال الرقمي، مع العلم أن لهذا الأخير الكثير من المميزات لا حاجة لنا لعرضها هنا، علاوة على أن ما كُتِب حولها كثير ويزيد، و هاتين الميزتين لهما مبررات تتماشى و أهمية الإشكالية المطروحة سابقاً، و هي التفاعلية و اللاتزامنية.

شهد العالم في أواخر القرن العشرين، ثورة إعلامية اتصالية لا مثيل لها في تاريخ البشرية، تمثلت في تطور (علمي وتقني) انعكس على كافة المجالات المعرفية، فقد استدعى تطور هندسة الاتصالات دخول علم الإحصاء، واتساع دائرة استخدام علم النفس في تحليل نفسية الفرد، واستخدام علم الاجتماع بدراسة الاتصال الجماهيري و تقنية تحليل المضمون الميداني الإعلامي، هذا على المستوى العلمي الأكاديمي، أما على مستوى الخصائص التي ينفرد بها الاتصال الرقمي و تجعله محل أنظار الباحثين، فقد تتمثل في:

- التفاعلية: إلى عهد قريب كانت هندسة العملية الاتصالية، تسير وفق اتجاه خطي Linière مع نموذج هارولد لاسويل و نموذج شانون و ويفر و غيرهما، و ظل هذا النموذج لفترة طويلة، المهيمن على كل أنواع التفسيرات التي خصت العملية الاتصالية، و هو أن الرسالة تأخذ مساراً محدداً أي من نقطة إلى نقطة، بحيث لا يمكن للمرسل أن يقيس ردود الأفعال ورجع الصدى إلا بشكل بسيط جداً، ولا يمكنه أيضاً أن يعرف مدى مقبولية الرسالة الإعلامية أو عدد القراء بالنسبة للصحيفة أو نسبة الجمهور الذي يتعرض لهذا الحامل أو ذلك إلا عبر الحامل ذاته، لكن بظهور الإعلام الرقمي، فقد تغير اتجاه العملية الاتصالية، ليصبح دائرياً، أي أصبح بإمكان المرسل أن يكون مستقبلاً والمستقبل مرسلًا، كما أتاح للجمهور أن يختار المعلومات والأخبار بعينها حسب أوقات فراغه بعد أن كان يجلس لفترات طويلة رغبة منه في سماع أو رؤية آخر التطورات التي تطرأ على الأخبار، خاصة بعد ظهور المدونات وما تبعها بعد ذلك من بروز شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الفيديو التشاركية كاليوتيوب والموسوعات الحرة مثل ويكيبيديا ..

- اللاتزامنية: أسقط الإعلام الرقمي، مفهوم الزمن، وتعني اللاتزامنية إمكانية إرسال الرسائل واستقبالها في الوقت الذي يختاره الفرد المستخدم ولا تتطلب من كل مشارك أن يستخدم النظام في

الوقت نفسه، فمثلاً في نظم البريد الإلكتروني ترسل الرسالة إلى مستقبلها في أي وقت دون حاجة إلى وجود مستقبل للرسالة أو من خلال تسخير تقنيات الاتصال الحديثة مثل الفيديو لتسجيل البرامج وتخزينها ثم مشاهدتها في الأوقات المناسبة (مغزيلي، 2017، 17).

معنى ما سبق، أن الاتصال الرقمي يوفر إمكانية تبادل الرسائل في وقت مناسب للفرد المستخدم، دون إلزامية تواجد المرسل و المستقبل في وقت واحد، بل و أن المستخدم للاتصال الرقمي يستطيع أن يرسل الرسائل ويستقبلها سواء كان الشخص المستقبل متصلاً بالإنترنت أم غير متصل، فضلاً عن أن الاتصال الرقمي وقّر لمستخدميه إمكانية الحصول على المعلومات والأخبار في الوقت الذي يريده و في وقت قياسي (الرحباني، 2012، 141).

هاتان الميزتان بصفة خاصة، تطرحان إشكالية منهجية مهمة مفادها: ما هي أفضل الأدوات والتقنيات المنهجية التي يمكن من خلالها تحليل و دراسة التفاعلية و اللاتزامنية للاتصال الرقمي؟ هل يمكن الاعتماد على تقنية سبر الآراء مثلاً في دراسة التفاعلية، مع إشكالية وجود بيانات يمكن أن تكون ذات دلالات غير دقيقة لبعض جوانب استخدام مواقع الاتصال الاجتماعي؟ و هل تكفي الملاحظة بأنواعها و المقابلة بأنواعها في تفسير اللاتزامنية؟. وهل يمكن فهم مقارنة الاتصال الرقمي بالتركيز على تحليل النصوص التي تظهر على الشاشة وفق تقنية تحليل المضمون إذ تنوع فيه الوسائط المعلوماتية واللغات المستخدمة، والرموز التعبيرية، ومصادر تشكيل هذا المحتوى، والتفاعلات المتضمنة فيه؟ أو ينبغي العمل على محاولة تكييف هاته التقنيات المنهجية مع متطلبات و مميزات تلك الخصائص؟.

إن الدراسات و الأبحاث التي تمت إلى يومنا هذا فيما يخص الاتصال الرقمي، ركزت في مجملها على دراسة الوسيلة باعتبار أنها هي التي شهدت التطورات التكنولوجية المختلفة، لكن المقاربات المنهجية التي تستعمل في دراسة محتويات و جمهور و تأثير الاتصال الرقمي .. لم تحظ بنصيب كبير منها، حيث لم نعثر في عملية مسحية حول ما كُتب في هذا الشأن، إلا على القليل من الدراسات التي حاولت إيجاد مخرج منهجي ملائم لدراسة كل عناصر الاتصال الرقمي، و حتى هذا القليل، نعتبره من وجهة نظرنا، محاولات فردية تصويرية لم ترق إلى التأصيل المنهجي اللائق. أما عن الأطروحات الأكاديمية – على الأقل في كليتنا – فهي لم تخرج عن استعمالها للمناهج و التقنيات "الكلاسيكية" عند تناولها لمواضيع الاتصال الرقمي، فلم نشهد أطروحة اجتهاد فيها صاحبها لإنتاج مقاربات منهجية أو تقنيات ملائمة لتحليل هذا النوع من الاتصال.

لقد قامت الباحثتان سهام بوزيدي و سوسن لواناسة من جامعة باتنة (بوزيدي، لواناسة، 2019)، بدراسة تحليلية نقدية على عينة من رسائل الماجستير التي تناولت بالبحث موضوع الإعلام الجديد، كان الهدف منها تحديد العدة – كما تقول – النظرية و المنهجية المعتمدة و مدى ملائمتها لهذا النوع من المواضيع "الإعلام الجديد"، فوصلت إلى جملة من النتائج التي تخص إشكالياتنا السابقة و هي:

- تركيز أغلبية الدراسات (78.5%) على المنهج المسحي بشقيه التحليلي و الميداني، ونحن نؤكد هذه النتيجة على أن أغلبية الأطروحات التي تم مناقشتها عندنا، اعتمد أصحابها على المنهج المسحي بمختلف أنواعه، و الشيء الملفت للنظر، أن استعمال ذلك المنهج من طرف هؤلاء، لم يخرج عن إجراءاته "الكلاسيكية" المستعملة في مقارنة وسائل الإعلام التقليدية، اعتمدت أغليبتها على الجانب الكمي الإحصائي من هذا المنهج، و حتى هذا الاعتماد لم يشهد محاولة تكيفه مع بيئة الاتصال الرقمي التي دون شك، تختلف كثيرا عن بيئة الإعلام التقليدي.
- عزوف الباحثين في مجال الاتصال الرقمي، عن البحوث الكيفية و تمسكهم بمنهج وأساليب البحوث الإمبريقية، و هذه النتيجة ليست خاصة بالاتصال الرقمي فقط، فقد لاحظناها في الكثير من الدراسات التي تم أو يتم إنجازها عندنا، و مع كل الإيجابيات التي قد يحملها هذا النوع من الدراسات، إلا أن الأبحاث الكيفية لها من الإيجابيات هي أيضاً في مقارنة بعض الظواهر الإعلامية و الاتصالية منها الاتصال الرقمي على سبيل المثال.

لا شك أن هذا الوضع، لا يؤدي إلى ظهور دراسات و أبحاث ذات جودة عالية، تتوافق وتطور الاتصال الرقمي في كل مظهره، علاوة على النتائج التي قد تصل إليها تلك الدراسات والتي تبقى سطحية تؤول إلى الأفكار العامة المعروضة، و لكي نصل إلى بناء تصور منهجي يرقى إلى براديفم منهجي متكامل الأبعاد.

لا شك أن المحاولات التي طُرحت في شأن المقاربات المنهجية الصالح لدراسة الإعلام الرقمي، كثيرة ومتنوعة كما أنها لا تخص علم الإعلام و الاتصال فقط، بل تعدته إلى الكثير من المجالات المعرفية، حاول كل منها إضفاء أسس التخصص في مختلف مكونات الاتصال الرقمي، و لا يسع المجال في هذه المحاولة، لمسح كل التقنيات و الأدوات البحثية التي جاء في هذا الصدد، لكن الملاحظ عنها، أنها لم تخرج بعد عن المبدئين الأساسيين اللذان كانا دائما حاضرين في البحوث المتعلقة بقضايا الإعلام و الاتصال، و هي البحوث الكيفية و البحوث الكمية.

#### أ – الاتجاه الإثنوغرافي.

أخذ هذا التوجه مجالاً كبيراً من المحاولات التي طُرحت لدراسة الاتصال الرقمي، إلى درجة أن أصحابه، استحدثوا فرعاً جديداً لمقاربتهم هذه تحت عنوان النت-نوغرافي netnographie، أي الإثنوغرافية المطبقة على الإنترنت، و هي مقارنة كيفية تحاول تكيف تقنيات البحث الإثنوغرافية لدراسة و تحليل الاتصال على الخط communication en ligne عن طريق جمع البيانات من التجمعات الافتراضية كمجموعات دراسة (Pastinelli, 2011, 35)، و لعل أكثر الطرق المنهجية شيوعاً في هذا الإطار هي، المجموعات البؤرية الإلكترونية E-focus groups التي تعتمد على المقابلة الكيفية في التعامل مع مجموعة من الأفراد في مناقشتهم اليومية لاستخلاص البيانات الضرورية للبحث، و يكون المشاركون في هذه المناقشات، أحراراً في اختيار المواضيع التي تناسبهم.

وبحسب نورتيج مراز Noortje Marres، فإن التقنيات المنهجية المُستعملة في دراسة تلك المجمعات دراسة كيفية، تتطلب إعادة توزيعها لتتكيف مع خصائص الحامل الجديد، و عليه فقد نجد الكثير من رواد هذا التوجه الذين يؤمنون بأن المناهج التقليدية يمكنها أن تُطبق في ميادين بحث على الخط، وهو ما يسمى بالمناهج الافتراضية (Hine, 2005, 135).

يعتقد أصحاب هذا الاتجاه، أن السياق في حد ذاته لا يشكل ضرورة لإيجاد منهجية جديدة لدراسة الميدان الافتراضي، لأن الباحثين لا يرون خصوصية لهذا الميدان مقارنة بالفضاءات الأخرى التي تعودوا دراستها (Rabahi, 2020).

و من المنطق السابق، فهذا التوجه يقترح المجالات التالية لدراسة إثنوغرافية للفضاء الافتراضي مبنية على ما يلي:

- محاصرة ميدان البحث.
  - استعمال الملاحظة بالمشاركة.
  - أشكال المقابلة التي قد يأخذها البحث.
  - إجراءات إعادة النظر.
  - المصادر المكتوبة.
  - إعادة تنظيم البيانات (Poutrain, Héas, 2003, 125).
- وللعلم فإنّ القاسم المشترك لهذه الدراسات، هو أنها تتضمن جميعها نوعاً من البيانات عبر الإنترنت، ويوظفون جميعاً الإثنوغرافيا عند البحث في البيئات المختلفة التي خلقتها الإنترنت كمواقع الشبكات الاجتماعية، المدونات، المنتديات، مواقع الويب، وغيرها..

### ب- البحوث الطويلة Etudes longitudinale

حظي هذا النوع من الدراسات، بالكثير من التطبيقات، وتُعد من بين الأدوات المنهجية المستعملة في علم الاجتماع على وجه الخصوص، على سبيل المثال دراسة حياة الأفراد أو الحركية الجغرافية للسكان، سوق العمل، التربية .. جاؤوا بها إلى الاتصال الرقمي لمتابعة الظواهر والأشخاص في الفضاء الافتراضي، يتابعون تصرفاتهم، أحوالهم، مختلف التغيرات التي يمكن أن تطرأ عليهم أو في البيئة التي يتفاعلون فيها .. وهي طويلة، لأن الباحث يمكنه مدة طويلة وهو يلاحظ، يقابل، يقارن، ويحلل المتغيرات الممكن حدوثها في تعامل الأشخاص عبر الاتصال الرقمي، وقد تساعد هذه الطريقة حسب فرونيك بوتران و ستيفان هايس (Poutrain, Héas, 2003, 125) على :

- متابعة تطور آراء وتجارب الأشخاص المستجوبين.
- تشخيص المشاكل عبر الزمن لتفادي النتائج السلبية.
- تحديد استراتيجيات خاصة حتى يمكن حل المشاكل وتحسين بعض الاختلالات.

- تقييم انعكاسات هذه الاستراتيجيات عن طريق جمع المعطيات قبل و بعد حدوث التغيرات.

وبالاستعانة بمقاطع الفيديو أو الصور ، الأصوات، البيانات النصية وغيرها من البيانات، يمكن أن تكون البحوث في هذا المجال قصيرة تنطوي أو تركز على مجتمع واحد أو طويلة قد تستمر لسنوات عدة وتشمل مجتمعات عدة (Costello, Mcdermott, Wallace, 2017, 9). هذا و تبقى البحوث الطويلة مفيدة لكنها تعاني من طبيعة شدة تغيير في عمل و سلوكيات وتصرفات عناصر العملية الاتصالية، فمتابعة ظاهرة معينة عبر الاتصال الرقمي، قد يؤدي إلى ملاحظة تغييرها السريع و المعتقد مما يجعل دراسة متغيراتها و التنبؤ بها، أمراً صعب من الناحية العلمية.

### ج - بحوث رقمية Big Data:

يعتمد هذا النوع من الدراسات، على التقنيات الحاسوبية التي أنتجها علم البرمجيات، حتى أن البعض يرى أن الأطروحات النظرية التي قدّمت لفهم طبيعة هذا الاتصال "الرقمي" لم تصدر عن مختصين في الإعلام و الاتصال بالأساس بقدر ما صدرت عن خبراء و منشغلين بالجانب التكنولوجي المتعلق بتقنية المعلومات و هندسة الشبكات و تطويرها (بلهامل، 2014، 17) ، ونجدها أكثر حضوراً في الدراسات الكمية التي تحاول معرفة مستخدمي الاتصال الرقمي، كمية الولوج إلى المواقع، كمية النقر على الموصل *Les liens*، طبيعة الجمهور الذي يُبحر في هذا الموقع أو ذلك، و يلفت أصحاب هذا التيار الانتباه إلى بنية مجال الاتصال الرقمي، وتشابكه مع مجالات معرفية متعددة كالفنون الرفيعة، وعلوم الحاسب الآلي، والإنسانيات، و العلوم الاجتماعية والمعلوماتية، مما يعني ضرورة ارتباط دراسات الاتصال بالوسائط الجديدة ونظرياته بالجوانب التقنية والثقافية التي لا تنفصل عنه (البدوي، 2020، 22).

كما يعتمد أصحاب هذا التوجه، على تقنيات رقمية قائمة على برمجيات خاصة في محاولة تفسير طبيعة الجمهور الداخل إلى الاتصال الرقمي و الخارج منها، حيث أصبحت أغلب الاستبيانات والاستطلاعات الخاصة بمستخدمي الاتصال الرقمي، قائمة على تواجد برمجيات أثبتت فعاليتها و قلة تكلفتها، منها على سبيل الحصر:

- الاستبيان الإلكتروني عن طريق البريد الإلكتروني.

- الاستبيان القائم على الويب *web survey methodology* مثل *web survey methodology* (websm.org) survey monkey (Hewson, 2014, 8).

### د - دراسة الشبكات *Etudes d'hyperliens*

ينشط هذا النوع من الدراسات، في تحليل الارتباطات التشعبية *hyperliens*، باعتبار أن كل صفحة من صفحات الويب، لها عدد من الروابط تربطها بصفحات أخرى، و قد تزيد هذه الصفحة في ارتباطها بعدد قليل أو كثير من الصفحات الأخرى الدالة عليها، و من هذا المبدأ يهتم هذا النوع من

الدراسات، بعدد تلك الروابط و طبيعتها فيمكن من خلالها تحديد عدد الروابط في المواقع المحلية والدولية، وعدد الروابط في النصوص والمقالات والأحاديث والتحقيقات والموضوعات القصيرة وغيرها، ويمكن اعتبار هذا النوع من الدراسات، كبديل لتقنية تحليل المضمون أو تكييفاً له، بحيث أن هذا الأخير بإجراءاته التقليدية لا يستطيع التعامل مع المضمون المتحرك في الاتصال الرقمي، فيكون الخطاب مجزأً في أكثر من صفحة عبر الارتباطات التشعبية، ففي العادة يتعامل تحليل المضمون مع فئات و وحدات ثابتة في المضمون، ثم يعطيها معاني مأخوذة من ثوابت المضمون محل التحليل، أما في الاتصال الرقمي فإن ثبات معاني المفاهيم تأخذ أبعادها من عدة حلقات مجزأة عبر عدة صفحات.

باعتبار أن هذه المحاولة، جاءت فقط لطرح الإشكالية التي تربط الاتصال الرقمي بالبحث العلمي من حيث المناهج و التقنيات التي يمكن استعمالها لدراسته، فقد طرحنا منظورين أساسيين لفريقيين: الفريق الذي ينادي باستحداث أدوات منهجية جديدة تأخذ بعين الاعتبار خصوصية الاتصال الرقمي، فقد ظهرت تقنيات وأساليب اتصالية حديثة، وانتشرت عن طريقها خصائص ووظائف اتصالية جديدة من أهمها التحوّل من وسائل الاتصال الجماهيري ذات الاتجاه الواحد، والمحتوى المتجانس، إلى تقنيات الاتصال التفاعلية ذات الاتجاهين والمضامين المتعددة، ما يدفع أكثر إلى ضرورة استحداث المناهج الرقمية، وتوظيف الرقمنة وتكنولوجيا الاتصال في دراسة هذه البيئة بكل متغيراتها. الفريق الثاني، ينادي بكفاية المناهج و التقنيات المُستعمل إلى حد الآن في دراسة الإعلام والاتصال التقليديين، فهي كمنهج و تقنيات صالحة لكل أنواع الدراسات الإعلامية والاتصالية، مع إمكانية تكييفها مع مجالات الاتصال الرقمي لأنه وبرغم التطور الذي شهدته تكنولوجيا الاتصال الرقمي، إلا أنها لم تلغ وسائل الاتصال القديمة ولكن طورتها بل غيرتها بشكل ضخم.

#### الخلاصة:

لاشك أن الحديث يطول حول الإشكالية التي طرحناها في هذه المحاولة، لكنه من المؤكد أنه سوف ينتهي لا محالة إلى إيجاد صيغة منهجية لمقاربة الاتصال الرقمي بمكوناته ومظاهره التي أشرنا إلى بعضها فيما سبق، لأننا مطالبون كأساتذة و باحثين في حقل علوم الإعلام و الاتصال، بضرورة التفكير المنهجي الجاد و الدقيق في تقديم منهجية تتماشى والخصوصية الرقمية لحقل الإعلام و الاتصال. فالاعتماد على الأسلوب الكمي وحده، أو على الأسلوب الكيفي وحده، و ما يدور في فلكهما من مناهج و تقنيات، لا يوفر تصوراً علمياً دقيقاً لدراسة الظواهر المتعلقة بالاتصال الرقمي، فنحن مطالبين بالتفكير في إمكانية التكيف المنهجي، على الأقل في المرحلة الحالية التي تمر بها منهجية البحث في الاتصال الرقمي، في صعوبات إيجاد تقنيات جديدة لدراسته و البحث في مظاهره في انتظار - كما تقول الباحثتان سوسن لواناسة و ليلى بن لطرش - توافر إنتاج فكري تتمخض عنه أطر نظرية ومنهجية جديدة أكثر

ملاءمة واستيعاباً ومواكبة لما تفرزه التطورات التكنولوجية الحديثة للاتصال في هذا المجال (بن لطرش، لواناسة، 2019، 236).

### قائمة المراجع :

#### - باللغة العربية :

- إبراهيم فؤاد الخصاونة (2003)، واقع الإعلام الإلكتروني في الأردن، في: وسائل الإعلام أدوات تعبير و تغيير، الأردن: دار أسامة للنشر و التوزيع.
- ثريا أحمد البدوي (2020)، "المعالجة النظرية والمنهجية لمشاركة المستخدم في المجال العام الرقمي-رؤية تحليلية نقدية للاتجاهات العلمية الحديثة-"، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.
- سهام بوزيدي، سوسن لواناسة (2019)، (الاتجاهات البحثية لبحوث الإعلام الجديد). مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، العدد 01.
- عيبر الرحباني، (2012)، الإعلام الرقمي (الإلكتروني)، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- ليلى بن لطرش، سوسن لواناسة (2019)، (الإشكاليات النظرية والمنهجية لبحوث الإعلام الجديد قراءة تحليلية)، مجلة المعيار، العدد 47.
- مفيدة بلهامل (2014)، (الإعلام الجديد: مصطلحات، مفاهيم، و نماذج). مجلة علوم الإنسان و المجتمع، العدد 12.
- مي العبد الله (2010)، البحث في علوم الإعلام و الاتصال، من الأطر المعرفية إلى الإشكاليات البحثية. بيروت: دار النهضة العربية.
- نوال مغزيلي (2017)، (دور تكنولوجيا الإعلام والاتصال في إرساء ممارسة جديدة للديمقراطية: الديمقراطية الإلكترونية)مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد الثالث.
- يوسف بن رمضان (2011)، (نحن و "الإعلام الجديد": الإشكاليات و الممارسات).مجلة الإذاعات العربية، العدد 3.

#### - باللغات الأجنبية :

- Christine Hine (2005), Virtual Methods: Issues in Social Research on the Internet, New York: Berg Publishers.
- Claire Hewson (2014), "ResearchmethodsontheInternet", Communication and technology. Handbooks of Communication Sciences series.
- Leesa Costello, Marie-LouiseMcDermott, andRuthWallace (2017), "Netnography: Range of Practices, Misperceptions, andMissedOpportunities", International Journal of Qualitative Methods, sagepub.com.
- Nassilia RABAHI\* & Pr. RedouaneBoudjemaa (2020), "De l'Ethnographie à la Nethnographie Les communautésvirtuelles" un nouveau terrain de recherche » Journal of Social and Human Science Studies/ University Oran2. Volume 9/ 2 S.
- Pastinelli, Madeleine (2011), Pour en finir avec l'ethnographie du virtuel !Des enjeux méthodologiques de l'enquête de terrain en ligne. Anthropologie et Sociétés, 35(1-2), 35–52. <https://doi.org/10.7202/1006367ar>.

- Stéphane Héas, Véronique Poutrain (2003), Les méthodes d'enquête qualitative sur Internet. Ethnographiques.org, Revue en ligne de sciences humaines et sociales.
- WOLTON, Dominique (2000), Internet, et après? Une théorie critique des nouveaux médias, Paris: Flammarion.

### . الهوامش :

\* لم يتفق الباحثون والمتخصصون في مجال الإعلام على وضع تسمية محددة للإعلام الجديد، وإنما وضعوا له عدة تسميات ومصطلحات مرادفة له بحسب رؤية وتصور كلمتهم لهذا النوع من الإعلام، أنظر تلك التسميات و تعريف كل منها في : وسام فاضل راضي، مهند حميد التميمي، الإعلام الجديد، تحولات اتصالية و رؤى معاصرة. الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، 2017، ص 78.

\*\* هناك الكثير من المناهج و التقنيات التي استعان بها الباحثين في علم الإعلام و الاتصال، و كان مصدر الكثير منها معارف علمية مختلفة، ذلك أن علم الإعلام و الاتصال، علم حديث النشأة مقارنة بتلك المجالات المعرفية، علاوة على صلاحية الكثير منها في مقارنة إشكاليات الإعلام بخاصة عندما أثبتت صلاحيتها في الإجابة عن انشغالات الباحثين في دراستهم للظواهر الاجتماعية و الإنسانية على العموم.